مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص169- ص 210 يناير 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

# الدور الريادي لحملة القرآن الكريم في نهضة الأمة

**د. أحمد محمد مفلح القضاة**

**كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي**

**ملخص:** جاء هذا البحث ليتحدث عن الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة وتقدمها، مبيناً أهم خصائص القرآن المتصلة بإخراج الجيل القرآني إلى الوجود، وأثر القرآن في ذلك، ثم بيان أبرز صفات حملة القرآن، وهي: الإيمان العميق، والفهم الدقيق، والعمل الصالح، والهمة والنشاط، والحركة الدائبة، والروح الجماعية، والخلق الحسن.

ثم انتقل إلى بيان أهمية أن يعرف أهل القرآن دورهم في مجتمعاتهم، وأهمية سعيهم لإنقاذ الناس وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان. كما وضع مصطلحاً يبين المقصود بأهل القرآن.

ثم بين معالم الدور الريادي لحملة القرآن في المجتمع، متمثلة في: القيادة والتوجيه، والنصح والإرشاد، والتربية والتعليم، والتعاهد والرعاية، وإصلاح ذات البين، والحرص على إحياء روح الأمل في النفوس، وطمس معالم اليأس والقنوط.

ثم تحدث عن النتائج المرجوة – إذا قام أهل القرآن بدورهم- وأهمها: ربط الناس بالإيمان، والوصول إلى التغيير الإيجابي الشامل، وإخراج الجيل القرآني.

# The Leading Role of the People Who Memorize the Quran in the Renaissance of the Umma (nation)

**Abstract:** This research highlights the leading role of the people who memorize the Quran in the renaissance and development of the Muslim Umma. It discusses the most important features of the Quran which lead to the upbringing of a distinguished Quranic generation characterized by strong religious faith and behavior, deep understanding, constant activity, and a collective moral spirit.

The research defines the nature of the people who memorize and serve the Quran. It further stresses the importance of recognizing the mission of the people who memorize the Quran in enlightening the nation and protecting people from moral and spiritual degradation. This mission includes duties of leadership, guidance, consultation, education and the elevation of the public morale with focus on a promising and optimistic future perspective.

In conclusion, the research discusses the expected results if the people of the Quran uphold their duties, namely connecting people to their faith both in terms of ideology and practice, achieving a state of positive social change, and educating more Quranic generations.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن تبياناً لكل شيء، وجعله هدى ورحمة، وجعل فيه الشفاء من جميع الأسقام، والعلاج لكل الأدواء، من عمل به واتبعه هُدِيَ إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على نبيه الأمين الذي بلَّغَ الرسالة وأدَّى الأمانة، وكان خُلُقُهُ القرآنَ، قرأه وحفظه وعلَّمه وبلَّغه وعمل به، فأخرج به خير أمة أخرجت للناس، وأعظم جيل عرفه التاريخ، ذلك الجيل الفريد الذي حمل مشعل الهداية، ومضى بعزم نافذ، وهمة عليّة، يجوب أقطار الأرض؛ كي يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم والفقر والضلال إلى العدل والغنى والهدى.

إن التربية التي حظي بها ذلك الجيل الأول كانت – بلا شك- العاملَ الأساسيَّ الذي جعلهم يُغَيِّرُون مسار التاريخ، ويكتبون الأحداث من جديد، وبصورة مختلفة تماماً عما عهده التاريخ وصانعوه. فقد صيغ التاريخ وفق منهج الحق، وطريق الإيمان، وقامت للعدل دولة بلغت المشارق والمغارب، لا فرق فيها بين غني وفقير، ولا بين رفيع ووضيع؛ إلا بالتقوى.

إن العالَم الذي يعاني – في هذا الزمان- ما يعانيه من مصائبَ وويلاتٍ، وظلم واستبداد، وجوع وحرمان .. لمحتاج أشد الاحتياج إلى مثل ذلك الجيل؛ ليصحح المسيرة، ويرد الناس إلى الجادة، ويعيد الحق إلى نصابه، لعل البشرية تسعد من جديد بما سعدت به أيام كان للإسلام والمسلمين دورهم الفاعل في صياغة التاريخ، وصنع أحداثه.

والسؤال: **هل يمكن أن نرى مثل ذلك الجيل من جديد؟ وما السبيل إلى ذلك؟**

نسترشد هنا بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: **(لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه).**(1)

نعم! إن ما نحاوله لعظيم، وإنه ليسير، وعظمته تكمن في يسره، ويسره يشي بعظمته، والأمر يحتاج إلى ذهن وقَّاد، وعزيمة وثَّابة، وإرادة لا تعرف الكلل، ولا يتطرق إليها السأم، وعلى حد قول القائل:(2)

**وتعظم في عين الصغير صغارها          وتصغر في عين العظيم العظائمُ**

---

(1) سنن النسائي الكبرى 428/6، رقم الحديث 11394، ومسند أحمد 231/5، رقم الحديث 22069.

(2) البيت للمتنبي، انظر: الحماسة المغربية 51/1.

ولعل هذا البحث يشكل إجابة موجزة للسؤال المطروح، ووجهة نظر معقولة ترسم الطريق وتحدد المسار، مسترشدة بهدي القرآن والسنة، آخذة بتوجيهاتهما، وهما الأصلان اللذان قام عليهما الجيل الأول، وبُنِيَتْ عليهما حضارة الإسلام.

إن إخراج الجيل القرآني الذي يبني الحضارة، ويصنع الحياة، على الرغم من كونه مهمةً عظيمة، وعملية قاسية شاقة، هو أيضاً أمر ممكن، يُتوقع حصوله إذا تم الإعداد له والإشراف عليه بدقة وإتقان، ومراجعة كل مرحلة من مراحله بتجرد وإخلاص، وإن بذور التجديد كامنة في تعاليم هذا الدين وهذا القرآن، وقابلة للتطبيق بشرط أن يؤتى بها على وجهها الصحيح، بلا غلو ولا تقصير.

وقد عالجت هذا الموضوع في أربعة مباحث:

تحدثتُ في الأول عن طائفة من خصائص القرآن، من كونه كتاب هدايةٍ وإعجاز، وذا أثر كبير في إخراج الجيل الأول من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وتناولتُ في المبحث الثاني أبرز صفات حملة القرآن وأخلاقهم، وقد جاءت في سبعة فروع، كان منها: الإيمان العميق، والفهم الدقيق، والعمل الصالح، مع الهمة والنشاط والحركة الدائبة، والروح الجماعية، وقد ختمتُها بالحديث عن الخُلُق الحسن.

أما المبحث الثالث فقد خصصته للدور الريادي لحملة القرآن في المجتمع، وقد حصرته في سبع نقاط، قدمت بين يديها بالتعريف بصاحب القرآن، وبأهميَّة دور القرآن في المجتمع، معرجاً على أن أهل القرآن هم أولو البقية الذين ينهَون عن الفساد في الأرض. أما دور حملة القرآن فيبدأ بالقيادة والتوجيه، ثم بالإرشاد والنصح، يليه التربية والتعليم، وكذلك الرعاية والتعاهد، ثم الإصلاح وجمع الكلمة، وإحياء روح الأمل والبشارة، وأخيراً طمس معالم اليأس والقنوط.

وأما المبحث الرابع والأخير، فقد أفردتُه لثلاثة مطالب حول الثمرات المرجوة من قيام حملة القرآن بدورهم الريادي؛ فإذا هي: ربط الناس بالإيمان، والوصول إلى التغيير الإيجابي الشامل، ثم إخراج الجيل القرآني.

وقد تمخض البحث عن سبع نتائج، ذكرتها في الخاتمة.

## أولاً- من خصائص القرآن

في بادئ الأمر لا بد من الحديث عن أبرز خصائص القرآن الكريم، باعتباره المنهج الذي تربى عليه جيل الصحابة، جيل المؤسسين الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، وقدموا للعالم كله نماذج فريدة.

هذا القرآن الذي كان منهاج التربية، ومادة التزكية والبناء، من معينه نهلوا، وعلى هديه تربّوا، فصاغ نفوسهم صياغة جديدة، وأنشأهم خلقاً آخر. لا بد من وقفةٍ مع أبرز خصائصه التي أحدثت في نفوس ذلك الجيل هذا التغيير الكبير.

وليس المقصود هنا هو الحديث عن جميع خصائص القرآن، بل أريد أن أتناول ما يتصل مباشرة بموضوع الجيل القرآني. وهو دائر بين أربعة مطالب:

### أ) القرآن كتاب هداية

إنّ أول خصائص القرآن الكريم أنه كتاب هداية، أنزله الله تعالى لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق والخير، ودلالتهم على ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

7 8 M 2 4 5 6 7 8 9 **الظلمات** ; > **بـــإذن**
> ? @ A B C L [إبراهيم]

M / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 **الصالحات** ; >
**أجرا** > ? L [ الإسراء]

M **قُلْ** ´ µ ¶ ¸ **وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ** ﴿٤٤﴾ L [فصلت]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا دعا أحداً إلى الإسلام قرأ عليه القرآن، وإذا أراد أن يجادل المشركين ويقيم عليهم الحجة قرأ عليهم القرآن، وإذا أراد أن يعلم المسلمين ويربيهم قرأ عليهم القرآن، وأسمعهم آياته.(1)

إن قراءة القرآن بخشوع وتدبر تؤدي – قطعاً - إلى حالة من التأثر والانفعال، وإن استماعه بإنصات وانتباه يؤدي كذلك إلى هذا التأثر والانفعال، ولمثل هذا يقول الله سبحانه:

---

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام 131/2، وفيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ فواتح سورة فصلت على عتبة بن ربيعة، وانظر أيضاً: صحيح البخاري 9/1، رقم الحديث 7، حيث جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم: **قل** ; > **تعالوا** < ? @ A B C D E F L [64 آل عمران].

M ¸ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ L [التوبة]

وعند كثير من الدعاة نلاحظ غياب هذا المنهج، والانشغال بتقديم الحجج العقلية والكلامية، والتوسع في إيراد الأقوال والآراء، والاستشهاد بها من أجل إقناع المدعوين أو إفحامهم، مع أنه لا منهج أبلغ من منهج القرآن في عرضه للدلائل، وإقامته للحجج.

إن إسماع الناس كلام الله تعالى، بصوت خاشع مخبت، وتلاوة متقنة سليمة، ستترك أثرها الإيجابي في نفوس المدعوين، ولا بأس بعد ذلك من إيراد الأقوال والآراء، والمهم أن يكون الاستدلال بالقرآن، وإسماعه للآخرين هو المنهج المتصدر الغالب.

القرآن كتاب هداية، هذا هو شأنه في كل ما يعرضه، سواء أكان في صورة مَثَلٍ، أو قصةٍ، أو إجابة سؤال، .. ولو أخذنا أي قصة من قصص القرآن لوجدناها حافلة بالهدايات، داعية إلى الخير، محذرة من الشر والباطل.

والمطلوب من المسلم أن يقف مع آيات القرآن وقفة المتدبر المتفكر، وسيجد أن السورة الواحدة لو قضى معها دهره، لما قضى من معانيها وطره، فكل سورة بَحْرٌ زاخر بمعاني الفضيلة، وإنما يدرك الناس من ذلك على قدر مداركهم، كما يأخذون من الزاد على قدر بطونهم.

**ب) القرآن كتاب إعجاز**

من خصائص القرآن أنه كتاب اتحدت فيه المعجزة والرسالة، فهو المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الرسالة التي جاءت ليعمل الناس بما فيها، في حين كان الرسل السابقون يُعطَون كتباً ومعجزات، فالتوراة كتاب موسى عليه الصلاة والسلام، أما معجزته فالعصا واليد ..، والإنجيل كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام، أما معجزته فإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ..

إن إعجاز القرآن لم ينحصر في بيانه وبلاغته، بل تجاوز ذلك إلى وجوهٍ كثيرة، ففيه إعجاز تشريعي، وإعجاز علمي، وإعجاز غيبي، وتاريخي، وطبي .. وحيثما تدبر الناس القرآن، وأجالوا فيه النظر، تكشَّفَ لهم عن جوانبَ من الإعجاز لم يكونوا يدركونها من قبل.

ولقد بحث العلماء في الإعجاز، وألفوا فيه مئات الكتب والبحوث، وقدموا ما لا يُحصى من الدراسات، فكان ما قدموه ليس إلا غيضاً من فيض، وقطرة من بحر هذا القرآن العظيم.

وحين نقرأ القرآن، ونتدبره، ونُسمعه للناس لا بد أن نلحظ هذه الخصيصة العظيمة، وأن نستفيد منها في إقناع الآخرين بعظمة القرآن وصدقه، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

وليس يكفي أن نقول: إن القرآن معجز وعظيم، ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، بل لا بد أن تُعضد هذه الدعوى بأمثلة واضحة تقنع الآخرين وتثير عندهم الدافع للإقبال على القرآن، والاستجابة لله وللرسول.

**جـ) القرآن صانع المعجزات**

يقول الله سبحانه: M H I **قرءاناً سيرت به الجبال أو** O P Q R S T
U W X Y **جميعا** \ [ **الذين أمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس**
f ﴿٣١﴾[الرعد].

في هذه الآية حُذف جواب لو، لوضوحه والمعرفة به، أي: لكان هذا القرآن، والمعنى أن هذا القرآن جدير أن يصنع المعجزات والخوارق، لو كانت هذه مهمَّتَه التي أُنزل لتحقيقها، إنه جدير أن يُسيّر الجبال ويزيلها من أماكنها، وأن يُقَطِّعَ الأرض، ويجعلها مِزَقاً، وأن يُكلَّم به الموتى، فيسمعوا الكلام، ويردوا الجواب، لكن القرآن لم ينزل لهذا، ولم تكن مهمته صُنْعَ هذه الخوارق، **فما مهمته إذاً؟**

لقد أُنزِل ليؤدي مهمة أعظم من ذلك بكثير، إنها مهمة صُنعِ الجيل الذي يصنع العجائب، ويغير مجرى الأحداث، ويعيد صياغة التاريخ وفق المنهج الرباني، والسبيل الإيماني.

لقد أُنزل القرآنُ ليغيّرَ النفوس، وينتشلها من أوضار الطين والمادة، ويرفعها إلى قمم السمو والكمال، لا عن طريق الرهبانية وترك الدنيا، بل عن طريق عمارة الدنيا، واتخاذها مركباً للوصول إلى الآخرة، فالدنيا ليست هدفاً ولا غاية، بل وسيلة إلى الهدف والغاية، ولا بد من إصلاح المركب، وتصحيح الوسيلة، للتخفيف من عناء الرحلة، وتيسير الوصول إلى الهدف.

**د) القرآن وأثره في إخراج الجيل القرآني**

نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصاغ منه شخصاً آخر، فقد تحدث القرآن عن حاله قبل البعثة مقارنة بما صار إليه بعد البعثة، فقال تعالى:

**والليل أذا سجى** a L [الضحى]

وقال تعالى:M **نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ** © **ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ** ﴿٣﴾ L [يوسف].

وقال تعالى: M **وكذلك** " # $ % **أمرنا ما كنـــت** * + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 | 9 **لتهـــــــــدي** ; <
**مستقيم** < L [الشورى]

أما بعد الوحي ونزول القرآن عليه فصار صلى الله عليه وسلم كما وصفه ربه سبحانه بقوله: M 9 **لتهدي** ; > **مستقيم** < L [الشورى].

وبقولـــه: M **وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾** L [النساء].

وبقوله: **بل هـــو آيـــات** f g h i j k | m n o p
q r L [العنكبوت].

ورسول الله سيد الحفاظ وأولهم، فهو سيد الذين أوتوا العلم.

لقد نزل عليه القرآن فصنع منه ذلك النبي العظيم الذي انتقل من المدثر إلى القائم لينذر، ومن المزمل إلى القائم المتبتل.

النبي الذي يمضي نهاره في الدعوة، وليله في القيام وقراءة القرآن، وكلما قرأ وتبتل ازداد في الحق رسوخاً، وفي الرتبة العلية شموخاً، وقد عرف سر الرسوخ والشموخ، ومصدر الإمداد بالطاقة والقوة، فتزود من تلاوة القرآن وفهمه والعمل به، في همة لا تعرف الحدود.

أما أصحابه فقد كانوا قبل الإسلام أهلَ جاهليةٍ وضلال، فما هو إلا أن أشرقت عليهم أشعة الإيمان، وتسللت إلى أفئدتهم هدايات القرآن، حتى صاروا رهبانَ الليل وفرسان النهار، "**أناجيلهم في صدورهم**"[1] يرددون آيات القرآن آناء الليل وآناء النهار، فليس لهم شُغلٌ بغيره، ولا سميرٌ ولا أنيسٌ سواه، ثم لم يكتفوا بهذا؛ بل تحملوا في سبيله من الأذى والتعذيب ما لا تطيقه الجبال، وآثروا من أجله فُرقة الأوطان، وهجر الأهل والأحباب، وعيش الفقر والحرمان، وضَحَّوا من أجله بالمتع والشهوات، وأرخصوا الأرواح والأبدان، وبذلوا نفائس الأموال، فلما بذلوا وضحَّوا وقدَّموا أكرمهم الله سبحانه بأن جعلهم أبرَّ الناس قلوباً، وأصدقهم لهجة، وأصفاهم نفوساً،

---

(1) جزء من حديث رواه الطبراني في المعجم الكبير 89/10، رقم الحديث 10046.

واختارهم لصحبة نبيِّهِ، وحمل كتابه، وتبليغ دينه، وكتب لهم العزة والكرامة، والسعادة في الدارين.

لقد كانوا – إذا سمعوا أمر القرآن- أول المبادرين إلى تنفيذ الأمر، وإذا سمعوا تحذيره ونهيه أول المنتهين، شعارهم: M ~ وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ L [البقرة]، ومقصدهم إرضاء الله سبحانه، والفوز بحبه ورضاه.

ويطول الكلام لو ذهبنا نستعرض صفاتِ أبناءِ هذا الجيل القرآني الفريد، وأخلاقهم وخصائصهم، ولكن لا بد من إشارة عابرة إلى شيء من ذلك؛ لإلقاء الضوء على ملامح التغيير التي حدثت في حياتهم، بعد أن صاروا حملةَ القرآن، وأهلَهُ المختصين به.

### ثانياً- حملة القرآن: أبرز صفاتهم وأخلاقهم

امتاز الصحابة رضوان الله عليهم بصفات كثيرة، ومن أبرزها:

#### أ) الإيمان العميق

حين أشرقت شمس الإيمان على قلوب هذه النخبة المختارة، وعرفوا أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق، سارعوا إلى التمسك به وأخذه بقوة، وآمنوا به إيماناً عميقاً حتى صار الواحد منهم لو عُرضت عليه الدنيا بكل زينتها ومباهجها لما رضيها مقابل أن يترك دينه طرفة عين، ولو عُرض على أشد أنواع العذاب والأذى ما تراجع عن دينه لحظة واحدة، ولقد عُرضوا على فتنة السراء وفتنة الضراء (1) فما ازدادوا إلا يقيناً وثباتاً على الحق والهدى، وكان إيمانهم العميقُ هو الصخرة التي تحطمت عليها جميع أمواج الفتن والمحن، فتمحَّضت لهم قلوبٌ أضاءها الإيمان، وعمَرَها القرآن، فتفجرت منها ينابيع الحكمة قولاً وعملاً.

---

(1) روى أبو نعيم الأصفهاني بسنده عن مجاهد قال: "أول من أظهر الإسلام سبعة؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدراعَ الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهدُ ما شاء اللهُ أن يبلغَ من حر الحديد والشمس، فلما كان من العشيُّ أتاهم أبو جهلٍ - لعنه الله - ومعه حربةٌ، فجعل يشتمهم ويوبخهم". حلية الأولياء 140/1، وانظر أيضاً: عمدة القاري/ لبدر الدين العيني 197/1.

### ب) الفهم الدقيق

وجد هؤلاء أن القرآن يدعوهم منذ الكلمة الأولى(1) واللحظة الأولى إلى القراءة، قراءة القرآن، وقراءة الكون، والمجتمع والنفوس والأحوال .. ليعرفوا كيف يتعاملون مع الناس، ويدعونهم إلى الإسلام، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، فقرأوا أحسن القراءة، وفهموا أحسن الفهم، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم.

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج معهم إلى شرح كثير، وتفصيل دقيق، فقلوبهم مفتوحة لكل كلمة، وبالإشارة يفهمون ما يريد منهم، فهم الطلبة النجباء المخلصون لخير معلم عرفته البشرية.

وكان من نماذج فهمهم إدراكُهم الذكي لأساليب الدعوة، وطرائق التعامل مع الآخرين، وثباتُهم أمام الشدائد والمحن، وتفانيهم في الذود عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام، وحرصُهم على الآخرة، وشوقُهم إلى الجنة، ومواقفهم في سائر الأحداث والخطوب، فموقف أبي بكر يوم الردة،(2) وموقف عمر عام الرمادة، (3) ومواقف سائر الأصحاب الكرام تدل على فهم سديد، وإلهام عجيب، مصداقاً للحكمة القائلة: "**من عمل بما علم أورثه الله عِلْمَ ما لم يعلم**".(4)

---

(1) أول كلمة من القرآن نزلت هي: (اقرأ ..) وهي في الآيتين؛ الأولى والثالثة من سورة العلق.

(2) حيث أصر على قتال مانعي الزكاة حتى يؤدوها كاملةً. ونصُّ الخبر في المشكاة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ... فلمَّا قُبِضَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ارتدَّت العربُ، وقالوا: لا نؤدي زكاةً. فقال: لو منعوني عِقالاً لجاهدتُهم عليه. فقلت: يا خليفةَ رسولِ الله، تألَّفِ الناسَ، وارفُقْ بهم. فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهليةِ وخَوَّارٌ في الإسلام؟ إِنَّهُ قد انقطعَ الوحيُ وتمَّ الدينُ. أينقُص وأنا حيٌّ؟" مشكاة المصابيح 1701/3.

(3) حيث أوقف حد السرقة بسبب ما كان فيه الناس من الجوع والجهد. انظر القصة في: شرح الزرقاني على الموطأ 47/4-48.

ومما فعله عمر عام الرمادة أنه حرم على نفسه اللحم حتى يشبع المسلمون. قال أبو بكر الشيباني: "وكان- أي عمر- أبيضَ، وإنما تغير لونُه عامَ الرمادة، حَلَفَ أن لا يأكل إداماً حتى ينكشفَ عن الناس، فلذلك تغير لونُه رضي الله عنه". الآحاد والمثاني 116/1.

(4) انظر: فيض القدير 388/4، ومرقاة المفاتيح 402/5، والفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي/ للمناوي 499/2، رقم الأثر 375. وهو حديث ضعيف كما في الجامع الصغير.

## ج) العمل الصالح

لقد قادهم هذا الإيمان وذاك الفهم، إلى عمل صالح طيب، أنست به نفوسهم، وارتاحت إليه قلوبهم، فصار همهم أن يفعلوا الخير لعلهم يفلحون، كان أحدهم إذا هَمَّ بالكلمة ليقولها نظر؛ فإن كانت كلمة طيبةً قالها، وإلا أمسك عنها، لأنهم علموا أن الكلام من العمل، و"**من عَدَّ كلامَه من عمله قلّ كلامه**"(1) واستشعروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**"(2) وقوله: "**رحم الله امرأً قال فغنم أو سكت فسلم**"،(3) وكان أحدهم إذا هَمَّ بفعل شيء استحضر النية، واستشعر الإخلاص في العمل لله وحده، لعلمهم أن العمل إنما هو بالنية، (4) وأن العمل الذي لا إخلاص فيه لا يقبله الله تعالى، ثم ينظر أحدهم: هل هذا العمل موافق لأمر الله تعالى وهدي رسوله؟ فإن كان كذلك فعله، وإلا تركه وابتعد عنه.

أما الإثم والحرام فكانوا أبعد الناس منه، خوفاً من عذاب الله وغضبه، وإذا قارف أحدهم ذنباً بجهالة أو نسيان سارع إلى التوبة والاستغفار والندم، وقَدَّمَ من الكفارات والأعمال الصالحة ما يُعَفّي على آثار ذلك الذنب، ثم لم يزل نادماً خائفاً حتى يلقى ربه بشهادة تكون له حسن ختام.(5)

---

(1) انظر: الجامع لمعمر بن راشد 23/11، وحلية الأولياء 157/8، والعبارة منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وقال ابن عبد البر: "مكتوب في حكمة داود وفي صحف إبراهيم: **مَن عَدَّ كلامَهُ مِن عَملِهِ قَلَّ كَلامُهُ إلا فيما يعنيه**". التمهيد 289/21.

(2) صحيح البخاري 2240/5، رقم الحديث 5672.

(3) عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**رحم الله عبداً قال فغنم، أو سكت فسلم**". مسند الشهاب/لأبي عبد الله القضاعي 338/1. وقال الحافظ العراقي: حديث الحسن: ذُكر لنا أن رسول الله قال: "**رحم الله عبداً تكلم فغنم، أو سكت فسلم**". رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والبيهقي في الشعب، والخرائطي في مكارم الأخلاق، هكذا مرسلاً ورجاله ثقات. ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنسٍ بسندٍ فيه ضعف؛ فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين. المغني عن حمل الأسفار 769/2.

(4) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى ..**". صحيح البخاري 1951/5، رقم الحديث 4783.

(5) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "من لقي منكم العباس فليكفف عنه؛ فإنه خرج مستكرهاً. فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا واخواننا وعشائرنا،

=

بمثل هذا صلح المجتمع، ورأينا نموذجاً للمدينة الفاضلة التي لا تكاد تجد فيها إلا الخير والعمل الصالح، وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فلا ظلم ولا عدوان، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل رأينا كيف يبحث الغني عن الفقير ليدفع إليه الصدقة، وعن الذين لا يسألون الناس إلحافاً ليغنيهم من فضل الله، ويتسابق العظماء إلى خدمة العجزة والضعفاء ابتغاء رضوان الله تعالى.(1) ولم يركن الفقراء إلى ما يأتيهم من الصدقات، بل تعففوا وسارعوا إلى العمل والكسب، لعلمهم أن "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**"(2) وأن "**الصدقة لا تحل لغني، ولا لذي مرة سَوِيٍّ**"(3) قادر على العمل.

إن الباعث عندهم على العمل الصالح هو دائماً طلب رضوان الله، والحرص على طاعته، والطمع في رحمته وجنته، والمانع لهم من مقارفة العمل السيء هو الخوف من سخط الله وعذابه، والوجل من أن يُحرموا الجنة، ويُسْلَكوا في سقر.

وقد تجلت فيما بينهم روح التعاون والتكافل والتناصر والتناصح، تحركها أخوّة الإيمان والحب في الله وحب الخير للناس.

---

=

وندعُ العباسَ؟ والله لأضربنه بالسيف. فبلغت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص. قال عمر رضي الله عنه: إنه لأول يوم كناني فيه بأبي حفص. يضربُ وجهَ عمِّ رسول الله بالسيف؟ فقال عمر: دعني فلأضرب عنقه؛ فإنه قد نافق. وكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت، ولا أزال خائفاً حتى يُكَفِّرَها الله عني بالشهادة. قال: فقُتل يوم اليمامة شهيداً". أخرجه الحاكم في المستدرك 247/3، برقم 4988، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(1) "كان أبو بكر -رضي الله عنه- يذهب إلى كوخ امرأة عجوز فقيرة، فيكنس لها كوخها، وينظفه، ويعد لها طعامها، ويقضي حاجتها.

وقد حمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الدقيق على ظهره، وذهب به إلى بيت امرأة لا تجد طعامًا لأطفالها اليتامى، وأشعل النار، وظل ينفخ حتى نضج الطعام، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وشبعوا". انظر: موسوعة الأسرة المسلمة الشاملة 303/1.

(2) صحيح مسلم 2052/4، رقم الحديث 2664.

(3) سنن أبي داود 118/2 برقم1634، والمستدرك 565/1 برقم 1477، والمنتقى لابن الجارود 99/1 برقم 364.

**د) الهمة والنشاط**

إذا وُجدت تلك المعاني السامية الرفيعة، فلا بد أن تكون سبيلاً إلى الهمة العالية والنشاط الدائب، والسعي الذي لا يتطرق إليه كلل، ولا يبلغه سأم.

أليس قد سمعوا قــول الله تعــالى: M**أنفــروا** " # $ %

**وأنفسك** 1 L [التوبة]؟ فماذا صنعوا؟ هذا أبو أيوبَ الأنصاري – وقد بلغ الثمانين،لم يلجــأ إلى التقاعد، ولم يتعلل بأنه قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد. بل مضى يتزود من الخير قائلاً: "ما أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً"،[1] وقال عمرو بن الجموح لأبنائه وهو أعرج قــد عذره الله: " دعوني أجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإني أرجو أن أطأ بعرجتي هــذه الجنة"،[2] وقال ابن أم مكتوم الأعمى: " يا معشر المسلمين، أعطوني الراية؛ فإني لا أفــر"[1] إذ

---

(1) عن محمد بن سيرين قال: شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو فيها، إلا عاماً واحداً؛ فإنه استُعمِل على الجيش رجلٌ شابٌّ فقعد ذلــك العــام، فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول: ما على من استُعمِل فمرض. وعلى الجيش يزيدُ بن معاوية، فدخل عليه يعوده، فقال: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي إذا أنا مت فاركب، ثم اسعَ في أرض العدو ما وجدت مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً فادفنّي، ثم ارجع. قال: وكان أبو أيوب يقول: قال الله عز وجل: (انفــروا خفافــا وثقالاً) فلا أجدُني إلا خفيفاً أو ثقيلاً. المستدرك على الصحيحين ج3/ص518 برقم 5930.

(2) روى البيهقي بسنده عن أشياخ من بني سلمة قالوا: كان عمرو بن الجموح أعرجَ شديدَ العرَجِ، وكان له أربعةُ بنين شباب، يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوجه إلى أحد، قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصةً، فلو قعدت فنحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يــا رسول الله، إن بَنِيَّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، والله إني لأرجو أن استشهد، فأطأ بعرجتي هــذه في الجنة. فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أمَّا أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة. فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل يــوم أحُــد شهيداً. سنن البيهقي الكبرى 24/9 برقم17599. وانظر أيضاً: الجهاد، لابن المبارك 69/1. وذكــر الحافظ ابن حجر قصةً لصحابي آخر، هو النعمان بن قوقل الأنصاري حيث قال: أقسمتُ عليك يا رب لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي في خضر الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتــه يطأ فيها، وما به من عرج". الإصابة في تمييز الصحابة 451/6.

كيف يفر الأعمى؟ وأين يذهب؟ وهكذا صارت المحنة منحةً، وتحول العُذر المقعِد إلى عطاء وثبات، وصار الضعف قوةً، فما أعظم الإسلام الذي صنع في هذه النفوس من الهمة والنشاط ما ليس له حدود.

### هـ) الحركة الدائبة

لم يكن عند أهل القرآن حد ينتهون إليه في العمل، فهم إما في جهاد ومقارعة لأعداء الله، وإما في دعوة إلى الله ومقارعة أهل الباطل بالحجة والدليل، أو تعليم الداخلين في الإسلام وتربيتهم على تعاليم هذا الدين العظيم، وبين هذا وذاك كان للعبادة مكانها ومكانتها، فالواحد منهم لا يجد راحة نفسه إلا إذا انفرد في محرابه خاشعاً متبتلاً، تنقضي الساعات وهو مستغرق في المناجاة والدعاء، قد انقطع عن الخلق، وأنِس بالخالق سبحانه، يسأله الرحمة والمغفرة، ويتضرع إليه باكياً خائفاً، كأنما أتى بذنوب أهل الأرض كلهم، فإذا اقترب الفجر ولاحت تباشيره، قام فتوضأ وادّهن، وتهيأ للصلاة، فيلقى الناس كأنما نام الليل كله، لا يدري أحدٌ بعمله وقيامه ودعائه.(2)

---

=

(1) لعل هذا كان يوم القادسية، فقد قال ابن عبد البر: "وشهد ابن أم مكتوم فتح القادسية، وكان معه اللواء يومئذ، وقُتِلَ شهيداً بالقادسية". الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1199/3. ثم نقل عن الواقدي قوله: "رجع ابن أم مكتوم من القادسية إلى المدينة، فمات، ولم يُسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه".

وروى سعيد بن منصور بسنده عن أنس بن مالك أنه رأى ابن أم مكتوم في بعض مواطن المسلمين، ومعه لواء المسلمين". ثم قال: سنده ضعيف. سنن سعيد بن منصور (2) 1360/4، برقم 683.

(2) قال جعفر بن زيد: خرجنا في غزاة إلى كابُل، وفي الجيش صِلَةُ بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة فقلت: لأرمُقَنَّ عملَهُ فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى - أُراه العتمة - ثم اضطجع، فالتمس غفلةَ الناسِ، حتى إذا قلت: هدأت العيونُ وثب، فدخل غيضةً قريباً منا، فدخلتُ في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي، فافتتح الصلاة، قال: وجاء أسدٌ حتى دنا منه، قال: فصعدت إلى شجرة. قال: أفتراه التفت إليه؟ حتى سجد، فقلت الآن يفترسه. فلا شيء، فجلس ثم سلَّمَ، فقال: أيها السبُع، اطلبِ الرزقَ من مكان آخر، فولى وإن له لزئيراً أقول تصدعت منه الجبال، فما زال كذلك يصلي، حتى لما كان عند الصبح جلس، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله. ثم قال: اللهم إني أسألك أن تُجيرَني من النار. أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة؟ ثم رجع، فأصبح كأنه بات على الحشايا. وقد أصبحتُ وبي من الفترة – أي الضعف والذبول - شيءٌ الله تعالى به عليم. حلية الأولياء 240/2.

يُحْيُونَ ليلَهُمُ بطاعة ربهم        بتلاوةٍ وتضرُّعٍ وسؤالِ
وعيونهم تجري بفيض دموعهم        مثل انهمال الوابل الهطَّالِ
في الليل رُهبانٌ وعند جهادهم        لعدوهم من أشجع الأبطالِ
بوجوههم أثرُ السجود لربهم        وبها أشعةُ نورهِ المتلالي(1)

قال محمد بن المنكدر : ما بقي من الدنيا إلا ثلاث؛ قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في جماعة.(2)

وكان أحدهم إذا جلس للتعليم يجتمع حوله الطلبة منذ السحر، فيبدأ دروسه التي لا تنتهي حتى ينقضي النهار وشطرٌ من الليل، ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة والحاجات التي لا بد منها. عملٌ متواصل وسعي دائب، ونفوس لا تعرف الكلل، ولا تضجر من عمل الخير(3) وبمثل هذا رأينا جيل المبدعين الذين تفوقوا في كل عمل، وأبدعوا في كل علم، وجَوَّدوا في كل فن، وبمثل هذا رأينا حضارة الإسلام قائمة على أسسٍ راسخة من العدل والرحمة والعلم والتعاون والخلق الرفيع..

---

(1) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 237/1.

(2) هكذا فعل هؤلاء، محمد صالح المنجّد، ضمن موسوعة الخطب والدروس. ص 2.

(3) قال سويد بن عبد العزيز: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق، اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرةً عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره فإذا غلِطَ أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلِطَ عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك. معرفة القراء الكبار 41/1.

وجاء في ترجمة الإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ: "أنه كان يصلي الصبح بالفاضلية- بمصر، ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السُّرَى إليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولاً فليقرأ، ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق ..". غاية النهاية في طبقات القراء 21/2. وجاء في ترجمة الحافظ ابن الجزري (ت833هـ): "عرض عليه المولى معينُ الدين خِتمةً بقراءة أبي جعفر، ختمها بالمدينة، ثم خِتمةً لابن كثير، ختمها بمكة، وكان يقرأ عليه في أثناء الطريق قراءةَ عاصمٍ فأتمها، وحفظ أكثر الطيبة .." غاية النهاية 250/2. وهذا يعني أن الاشتغال بالعلم والتدريس أخذ عليه كُلَّ وقته، حتى كان يُقرئ في الطريق، في أثناء رحلته وسفره. ومثل هذا كثير جداً عند العلماء.

هؤلاء الذين واصلوا الليل بالنهار، وعرفوا للوقت قيمته فضنُّوا باللحظة والبرهة أن تضيع في غير فائدة، نجد منهم من يحضره الموت وحوله طلابه، فإذا أفاق من سكرات الموت سألهم وذاكرهم بمسائل العلم، هذا أبو يوسف- تلميذ أبي حنيفة- وهو في مرض الموت زاره تلميذه إبراهيم بن الجراح فقال له: يا إبراهيم! ما تقول في مسألة؟ قال: في مثل هذه الحالة، وأنت في النزع؟! قال: لا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناجٍ، ثم قال: يا إبراهيم! أيهما أفضل في رمي الجمار: أن يرميها ماشياً أو راكباً؟ قلت: راكباً، قال: أخطأتَ، قلت: ماشياً، قال: أخطأتَ، قلت: قل فيها- يرضى الله عنك-، قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء في الجمرة الأولى والثانية فالأفضل فيها ماشياً، وأما ما كان لا يوقف عنده- أي الجمرة الأخيرة الكبرى- فالأفضل أن يرميه راكباً، ثم قمت من عنده، فما بلغتُ باب الدار حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمه الله.(1) وهذا أبو الرَّيْحان البِيروني يدخل عليه بعضُ أصحابه، وهو يجود بنفسه، فقال له في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً: حساب الجدات في الإرث؟ فقال: أفي هذه الحال؟ قال: يا هذا، أودِّعُ الدنيا وأنا عالمٌ بها، أليس خيراً من أن أخَلِّيَها وأنا جاهلٌ بها؟قال: فذكرتها له، وخرجت. فسمعت الصراخ عليه، وأنا في الطريق.(2)

### و) الروح الجماعية

هناك أعمال يحسن بالمرء أن ينفرد بها، ليخرجها بالصورة الماثلة في ذهنه وفكره عملاً متقناً متميزاً، وأعمال يجب أن يشترك فيها الجمع من الناس، لأنه لا يصح فيها الانفراد؛ كصلاة الجمعة، والعيدين، ومناسك الحج، .. وقد عَرف أهل القرآن أهمية الروح الجماعية في الأعمال التي لا بد من الجماعة فيها، فصناعة الحضارة، وبناء الأمة، وجهاد الأعداء .. ليست من الأعمال التي يقوم بها فرد واحد، بل لا بد لها من تحشيد الحشود، وتجميع الإمكانيات والنفقات، واستخراج الآراء بالشورى، وإطلاق الطاقات لتتفاعل وتتعاون وتعمل وتنتج.

لذلك لم يكن النصر حين يتحقق يُنسب إلى خالد، أو أبي عبيدة، أو صلاح الدين ..، بل كانت المصادر التاريخية تردد عبارة: " انتصر المسلمون، أحرز المسلمون نصراً ساحقاً" .. فإن جاء التعبير بمثل: "انتصر خالد أو طارق" فالمقصود هو وجيشه، وليس بمفرده، ودليل ذلك أن

---

(1) انظر: قيمة الزمن عند العلماء/ عبد الفتاح أبو غدة، ص 29.

(2) انظر: المرجع السابق ص 49.

الواحد من هؤلاء العظماء كان يرد بصراحة على من نسب إليه النصر أو العمل قائلاً: "إنما نُصِرْنَا بفضل الله ورحمته".

أين هذا من الذين ينسبون كل فضل إلى أنفسهم، وكل تقصير إلى شعوبهم، ويجعلون الحقوق التي عليهم لشعوبهم مكارم إذا أَدَّوْا شيئاً منها، وإذا لم يُقَدِّموا شيئاً فما عليهم شيء، وليس لشعوبهم حق؟

إن الروح الجماعية التي غلبت على النزعات الفردية، واعتبرت القائد أو الزعيم شخصاً عادياً انتخبه المسلمون؛ لينوب عنهم، ويرعى شؤونهم، وتعاملوا معه بأريحية وبساطة، كما يتعاملون مع أي شخص منهم(1)- مع الاحترام والتوقير والطاعة- هي التي ضمنت لهم أن لا يستبد بهم سلطان، فالسلطان سلطان بمن معه، فإذا تخلوا عنه فعلى من يكون سلطانه؟

وقد عرفوا له حقه فناصحوه وصدَّقوه، وكانوا له بطانة صالحة، فصلح الحاكم، وصلحت الرعية.

إن الروح الجماعية هي التي ضمنت للمجتمع أن يبقى نظيفاً نقياً، حين حاول بعض ضعفاء النفوس أن يشذوا عن أعراف المجتمع وقيمه، وأن يحققوا لأنفسهم مصالحَ ومكاسبَ، مستفيدين من مواقعهم وسلطتهم، فكان اجتماعُ العلماء، وقيامُهم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحذير من عذاب الله، والشدة على أهل الفساد، سبيلاً إلى قمع كل فساد، وقطع دابر كل فتنة، وبذلك حُفظ المجتمع المسلم قوياً متماسكاً.

إن الروح الجماعية هي التي كَفَلَت للمجتمع أن تنتشر فيه حلقات العلم في المساجد والمدارس، وأن يُهَيَّأَ للعلماء وطلبة العلم من الأوقاف ما يكفيهم وأُسَرَهُم، ليتفرغوا للعلم وينشروه

---

(1) إن سيرة الخلفاء الراشدين وولاة الأمصار في عهدهم تحتوي على مئات النماذج الدالة على أن الأمير أو الوالي لم يكن إلا شخصاً كعامة الناس، لا يترفع عنهم بشيء، ولا يستحق بمنصبه أن يستأثر دونهم بشيء، بل على العكس كانوا يرون مسؤوليته تعظم وتتزايد، فيسهر لينام الناس، ويجوع ليشبعوا، ويتعب ليستريحوا، فقد كان أبو هريرةَ والياً على المدينة المنورة، وابن مسعود على الكوفة، وعتبة بن غزوان على البصرة، وعمرو بن العاص على مصر، .. وقدم هؤلاء وأمثالهم نماذج عجيبة في السهر على مصلحة الرعية، وخدمة المسلمين. قال الذهبي في ترجمته لأبي هريرة رضي الله عنه: "ولي إمرة المدينة زمن معاوية، وكان كثيرَ العبادة والذكر، وقد مَرَّ في ولايته وهو يحمل حُزمةَ حَطَبٍ، ويقول: "أوسعوا الطريق للأمير..". تذكرة الحفاظ، للذهبي 33/1.

بين الناس، ويربُّوا عليه أجيال المستقبل،(1) وهي التي كَفَلت إلى حَدٍّ كبير القضاءَ على مظاهر الفقر والجوع والبطالة والمرض، حين فتحت الباب أمام الطاقات الْخَيِّرَةِ؛ لتعملَ وتَبْذُلَ وتُقَدِّمَ، وأشرفت على توفير فرص العمل، ونظمت حياة الناس بكفاءة واقتدار.

### ز) الخلق الحسن

ليس لأهل القرآن وأهل الإيمان بعد هذا وقبله خيرٌ من خُلُقٍ حَسَنٍ، تُعَبِّرُ عنه طلاقةُ الوجه، والكلمة الطيبة، وحسن العشرة، ولين الجانب، وإنزال الناس منازلهم، وحسن التعامل معهم، حتى يظنَّ كلٌّ واحدٍ منهم أنه أقرب الناس إلى المسؤول، أو العالم، وأحظاهم عنده. كما جاء في الحديث: "**لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعُهم منكم بسطُ وجهٍ، وحُسْنُ خُلُقٍ ..**" (2)
إن الإحسان إلى الآخرين، وبذل المعروف لهم، والسعي في قضاء حوائجهم، والحرص على نفعهم، .. أعمال لا تُكَلِّفُ- في كثير من الأحيان- شيئاً، ولكنها تفعل في النفوس فعلها، وتترك في القلوب أثرها، وتجعل فاعلها محبوباً مأمولاً، كما تجعله دائماً موضع الثناء والاحترام والرغبة في تقليده والاقتداء به، والإنسانُ عبدُ الإحسان.

ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا.(3)

ما أكثرَ الذين كانوا يُبغِضون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم سمعوا المشركين يشتمونه، ويذكرونه بالباطل، ولكنهم حين التقوا به، ونظروا إليه، أو سمعوا كلامه؛ سارعوا إلى تصديقه والإيمان به، وتأثروا بأخلاقه وشمائله، فصاروا من أكثر الناس اقتداءً به، وحُبّاً له صلى الله عليه وسلم.(4)

---

(1) انظر: أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، سحر بنت عبد الرحمن مفتي الصديقي ص 165-170، ط1424/1هـ.

(2) رواه أبو يعلى في مسنده428/11 عن أبي هريرة مرفوعاً، وابن أبي شيبة في المصنف 212/5، وقال العراقي: حديث "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه، وحُسن الخُلُق" رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة، وبعض طرق البزار رجاله ثقاتٌ. المغني عن حمل الأسفار 735/2.

(3) عجز بيت للمتنبي، وأوله: وقيدت نفسي في هواك محبةً

(4) من شواهد ذلك قصة إسلام ثمامة بن أثال الحنفي، حيث قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ".. يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه إليَّ، والله

=

فهل نعي- معشر أهل القرآن- أهمية الخلق الحسن، وأثره الإيجابي على دعوتنا وديننا؟

هذه أبرز أخلاق أهل القرآن وصفاتهم ذات المساس المباشر بالتأثير الإيجابي على الآخرين، وحملهم على الدخول في دائرة أهل القرآن، ولم يكن المقصود الحديثَ عن جميع صفاتهم، فذلك أمر يقصر دونه مثل هذا البحث، ولا يتسع له المقام، لكنَّ أفضل وَصْفٍ لأهل القرآن بعبارة موجزة: إنهم قوم خُلُقُهُم القرآن.

وبعد هذا العرض لخصائص المنهج، وصفات الذين تربَّوا عليه، ننتقل إلى الحديث عن دورهم في مجتمعاتهم.

### ثالثاً- الدور الريادي لحملة القرآن في المجتمع

لأهل القرآن في مجتمعهم دورٌ أساسي يجب أن لا يُغفلوه، ولا يجهلوه، وإنما يأتي التغافل والجهل من عدم معرفة الإنسان بنفسه، وضعف تقديره لمكانته.

وكثيراً ما نسمع من يقول: إن الحفاظ والقراء كثيرون في المجتمع، فماذا فعلوا؟ هل قَدَّمُوا أو أَخَّرُوا؟ وهل تركوا أثراً؟

وإن أكثر ما يقتلُ النشاطَ، ويُهْدِرُ الطاقاتِ، ويُضعِفُ الشعورَ بالمسؤولية؛ أن نسمع مثل هذا الكلام ونصدقه ونقبل به، والمسألةُ لها أثرها النفسي الذي ينعكس على العمل والنشاط والحركة والجهد المبذول، كما ينعكس على التأثير في الآخرين إيجابياً، وعلى الثمرات الموعودة كذلك.

---

=

ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحبَّ الدينِ إليَّ، والله ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد إليَّ". صحيح البخاري 1589/4 برقم 4114.

وروى أبو يعلى في مسنده (214/12) أن رجلاً لقي النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فكان يقول: " .. فلقد كان، وما في الأرض أحد يتنفَّسُ أبغضَ إليَّ منه، فما برح حتى كان أحبَّ إليَّ من ولدي ووالدي، ومن الناس أجمعين.. " وفي الحديث نفسه أن الرجل قال: ".. يا رسول الله إني أرد ماءً عليه كثير من الناس، فأدعوهم إلى ما دعوتني إليه، فإني أرجو أن يتبعوك؟ قال: نعم فادعُهم. فأسلم أهلُ ذلك الماء رجالهم ونساؤهم..".

وروى مسلمٌ عن سعيد بن المسيب، أن صفوانَ بنَ أميةَ قال: "والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغضُ الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ". صحيح مسلم 1806/4 برقم2313.

لذا كان لا بد من معالجة هذا الأمر ابتداءً، وإقناع أهل القرآن بأهميتهم وأهمية دورهم في الحياة. وقبل هذا لا بد أن نعرف ما المقصودُ بصاحب القرآن؟ وما أهمية دوره في المجتمع؟

**أ) من صاحب القرآن؟**

يظن كثيرون أننا إذا أطلقنا مصطلح **(صاحب القرآن)** قصدنا ذلك الشخصَ الذي حفظ القرآن كُلَّهُ، وأتقن تلاوته وتجويده، وضبط رواياته وقراءاته، وصار من الضبط والإتقان بحيث لا تغيب عنه شاردة ولا واردة، وأنه حصَّلَ من الأسانيد والإجازات أعلاها وأفضلَها، واستكثر من الشيوخ والختمات، ثم تصدَّرَ للإقراء والتعليم، ومنح الإجازات، والتشديد على الطلبة ليُتْقِنُوا كما أتقن، ويضبِطُوا كما ضبطَ.

ومع أن مثل هذه المرتبةَ السامقةَ هدفٌ نسعى إلى تحقيقه، ونتنافس في تحصيله، لكنها تُضَيِّق مفهوم (صاحب القرآن) وتجعله عُملةً نادرةً، وعنصراً يَعِزُّ وجودُه، لذا كان لا بد من تعريفٍ أدقَّ وأصدقَ، وهذا يدعونا إلى مراجعة النصوص الشرعية من قُرآن وسنة، ومراجعة أحوالِ الصحابة والتابعين، لنصل إلى التعريف الدقيق لـ(صاحب القرآن).

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيِّدَ الحُفاظ والقُراء، فهو الذي تلقَّى القرآنَ كُلَّهُ عن جبريل عليه الصلاة والسلام، ودارسه مرة بعد مرة،⁽¹⁾ وتلقى عنه القرآن بقراءاته وحروفه وحركاته، ثم علَّمه لأصحابه فقرأ عليهم وأسمعهم، وسمع منهم، وصوَّبَ لهم قراءتهم، حتى اطمأن إلى حفظهم وإتقانهم، ثم فسر لهم القرآن وبينه لهم، حيث عمل به وطبقه على مدار حياته، وتَخَلَّقَ بأخلاقه، والتزم هديه وتوجيهه، حتى وُصِفَ بأنه "**كان خلقه القرآن**".⁽²⁾

---

(1) فيما يعرف بالعرضة السنوية، وكانت تتم في رمضان، فيعرض جبريل ما سبق نزوله من القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعرضه الرسول على جبريل، حتى يتم تدارُسُ كل ما نزل من القرآن، وفي العام الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم تم العرض مرتين. وفي هذا يقول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الريح المرسلة**". صحيح البخاري183/7، رقم 1902، باب أجود ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكون في رمضان، وانظر: جمع القرآن في مراحله التاريخية/ محمد شرعي أبو زيد. ص 74.

(2) مسند أحمد بن حنبل 91/6 برقم 24645، والمعجم الأوسط للطبراني30/1 برقم 72.

وكان أبو بكر – رضي الله عنه - صاحب قرآن، إذا قرأه رَقَّ رِقَّةً شديدة، وغلبته دموعُه،(1) فإذا قضى صلاته انطلق في شؤونه عاملاً في ضوء توجيه القرآن وهديه، ويقال مثل هذا في عمرَ،(2) وعثمانَ، وعليٍّ، والزبير، وطلحة، وسائر الأصحاب رضوان الله عليهم.

ومعلومٌ أن كثيراً من الصحابة لم يحفظوا القرآن كله عن ظهر قلب، لكن كانوا إذا تعلموا خمس آيات أو عشر آيات لم يجاوزوها حتى يفهموها ويعملوا بها،(3) فهؤلاء لم يكونوا – في الغالب - أوعية علم بقدر ما كانوا عُبَّاداً أتقياءَ عاملين بما علموا.

لقد تميزوا بالفهم والتدبر والعمل، أكثر من تميزهم بتحصيل العلم، وتجميع الفوائد، وتحرير المسائل، وذاك الذي رفع منزلتهم وأعلى أقدارهم، فالقرآن إنما أنزل لنتدبر آياته، ونعمل به، لا لنقرأه فحسب.

فإذا أضيف إلى ذلك مزيدُ علم بالقرآن وآياته ونظائره .. كان ذلك أعلى درجةً، وأعظم أجراً.

وعليه يمكن أن نُعرّف صاحب القرآن فنقول:

**"إنه ذلك المسلم الذي أوتي علماً من القرآن، وفهماً فيه، فجعل ذلك العلم والفهم سبيلاً إلى العمل الصالح".**

وكلما ازداد المرء علماً بالقرآن، وحفظاً وفهماً له، وعملاً به، كان ذلك أرفع لدرجته، وصار أكثر اختصاصاً بالقرآن. يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل**

---

(1) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، أتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ. قلتُ: إن أبا بكر رجل أسيف، إن يقم مقامك يبكِ، فلا يقدر على القراءة .." صحيح البخاري 251/1 برقم 680، وانظر أيضاً: سنن ابن ماجه 390/1 برقم 1234. وروى الأعمش عن أبي صالح قال: "لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر، فسمعوا القرآن، جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب". مصنف ابن أبي شيبة ج7/ص224 برقم 35524.

(2)عن عبد الله بن شداد أنه قال: سمعت نشيج عمر، وأنا في آخر الصف، وهو يقرأ سورة يوسف: M**إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وحزني اَللَّهِ** ﴿٨٦﴾ L . مصنف ابن أبي شيبة ج7/ص224 برقم 35527.

(3) عن أبي العالية قال: "تعلَّمُوا القرآنَ خمسَ آياتٍ، خمسَ آياتٍ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذه خمساً خمساً". مصنف ابن أبي شيبة 117/6 برقم 29930.

**كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**"(1) والشاهد أنه كلما قرأ آية ارتقى في الجنة درجة، فمن حفظ القرآن كله كان أعلى درجة ممن هو أقل حفظاً.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**خيرُكم من تعلم القرآن وعلمه**"(2) شاهد على أن من عمل بالقرآن فعلَّمه، خير ممن اقتصر على تعلمه وحفظه.

**ب) أهمية دور أهل القرآن في المجتمع**

بِحَسبِ التعريف السابق لصاحب القرآن، يمكن استشعار أهمية دور أهل القرآن في المجتمع، لو تصورنا مثلاً مجتمعاً مسلماً ليس فيه صاحب قرآن. كيف يصنع أهل ذلك المجتمع في عبادتهم وصلاتهم؟ وكيف يتعاملون فيما بينهم في تجارتهم ومعاملاتهم؟ وكيف تكون أخلاقُهم وصفاتهم؟ أم كيف يكون اعتقادهم وإيمانهم؟

إنهم بالتأكيد سيكونون في منتهى الجهل والتخلف، وسوء الْخُلُق، وضعف اليقين، والفسادُ يضرب جميعَ جوانبِ حياتِهم، وينخر أساس مجتمعهم.

قال الله تعالى: M ´ µ ¶ ¸ **مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴿١١٦﴾** L[هود]

هنا يأتي دور أهل القرآن، وتظهر أهميتُهم، فهم الذين سيقومون بمواجهة الفساد، والقضاء عليه، وهم الذين يتولون التصحيح والتقويم، وردَّ الأمور إلى نصابِها.

أما المجتمع الذي صلح حال أهله، واستقامت شؤونهم، فلا بد أن يكون ذلك ثمرةً من ثمرات جهود أهل القرآن وإخلاصهم، بعد توفيق الله تعالى.

ويمكن الحديث عن الدور الريادي لأهل القرآن في المجتمع، من خلال النقاط السَّبْعِ التالية:

**أ) القيادة والتوجيه**

صاحبُ القرآن قائد يلجأ إليه الناس في الملمات، ويلوذون به عند الشدائد، كما قال الشاعر:

---

(1) سنن النسائي الكبرى ج5/ص22 برقم 8056، وصحيح ابن حبان ج3/ص43 برقم 766.

(2) صحيح البخاري 1919/4 برقم 4739.

…………………… وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ (1)

هذا سالمٌ مولى أبي حذيفة – رضي الله عنهما - يأخذ الراية يوم اليمامة، حين اشتد الكرب على المسلمين، وفرَّ بعضهم، فقال المسلمون: يا سالم، إنا نخاف أن نؤتى من قِبَلك. فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قِبَلي"(2)

وهذا ابن مسعود – رضي الله عنه - يقرئ الناس في الكوفة ويُعلّمهم، حتى يكون المرجع فيما يختلفون فيه، وعلى يده نشأت مدرسة التفسير والقراءة والعلم بالكوفة. (3)

وهذا ابن عباس – رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن الذي كان رِحْلَةَ الناس ومقصِدَهم في العلم والفقه والفتيا، وهو الذي أسَّس مدرسة التفسير والقراءة والعلم بمكة المكرمة.(4) ويقال مثل ذلك في أبي بن كعب – رضي الله عنه - في المدينة،(5) وأبي الدرداء – رضي الله عنه - في الشام، ومعاذ وحذيفة وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الصحب الكرام، رضي الله عنهم أجمعين.(6)

---

(1) عجز بيت لأبي فراس الحمداني، وصدره:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم. انظر: الوافي بالوفيات 75/4.

(2) المستدرك على الصحيحين 252/3 برقم 5006.

(3) انظر: التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي 118/1.

(4) انظر: المرجع السابق 101/1.

(5) انظر: المرجع السابق 114/1.

(6) قال أبو مسلم الخولاني: دخلت حمص، فرأيت حلقةً فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا فيهم شاب أكحلُ العينين برَّاقُ الثنايا، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل. انظر: طبقات ابن سعد 389/7، وطبقات الفقهاء 46/1. وأرسل عمر بن الخطاب معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، إلى الشام ليُقرِئوا أهلها، وقال لهم: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص، فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عُبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عَمَوَاس، وأما عُبادة فصار بعدُ إلى فلسطين، فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات. انظر: طبقات ابن سعد 357/2.

والقيادة ليست قاصرة على قيادة الجيوش في ميدان القتال، أو تولي منصب الوالي أو الأمير، بل هي قبل ذلك إمامة في الدين وريادة في الخير، ألا ترون إلى قول الصحابة في أبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: "ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا؟"(1) . بل إن القرآن ليؤكد هذه القضية في مواضع متعددة، فيقول الله سبحانه لخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: M u v w x y z | | } ~ **لِلنَّاسِ إِمَامًا** (١٢٤) L [البقرة]، ويقول عن عدد من الأنبياء الكرام: **وجعلناهم** " # $ % پ ' ) پ * + , . / 0 1 L [الأنبياء]، ويقول عن الصالحين من بني إسرائيل: **وجعلنا منهم** L **يهدون** N O P | R S T U L [السجدة].

لقد كان العلماء والدعاة على مدار القرون أئمة متبوعين، يُقتدى بهم في الفضل والخير، ويَنظُر إليهم الناس بعين الإجلال والإكبار، وكلما ازداد المرء علماً، وأخلص فيه، ارتقت مكانته في القلوب، وعظمت هيبته في النفوس.

قال الأخفش: "مر الحسن بأبي عمرو البصري وحلقته متوافرة، والناس عكوف، فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: أبو عمرو. فقال: لا إله إلا الله، كادت العلماء أن تكون أرباباً، كُلُّ عِزّ لم يؤكد بعلم فإلى ذُلٍّ يؤول".(2)

---

(1) قال أبو حاتم نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين وعماد الإسلام للمؤمنين فوجدوها الصلاة المفروضة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَّى أبا بكر إقامتها في الأوقات المعلومات فرضي المسلمون للمسلمين ما رضى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه طائعين في سائر الأركان وبايعوه في السر والإعلان". الثقات 156/2.

ومما ورد في حديث يوم السقيفة: ".. قالت قريش: منا أمير، وقالت الأنصار: منا أمير، فقال لهم عمر: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأئمة من قريش؟ قالوا: بلى. قال: أولستم تعلمون أنه أمر أبا بكر يصلي بالناس؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم يتقدم أبا بكر؟ قالوا: لا أحد. فسلمت لهم الأنصار". تاريخ مدينة دمشق 286/30.

(2) غاية النهاية 291/1.

وجاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس: " **ألا أعلمك خصلات ينفعك الله بهن؟ عليك بالعلم، فإن العلمَ خليلُ المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيّمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنده.**[1]

وأشرف العلوم على الإطلاق علم كتاب الله، وما يتعلق به بسبب، ولذلك اجتهد السلف في تعليم أبنائهم، وتحفيظهم القرآن، ثم حثهم على كتابة الحديث، وأخْذِ الفقه والتفسير، وسائر العلوم الشرعية، في سن الطفولة والشباب،[2] ليتمكنوا بعد ذلك من الأخذ بغيرها من العلوم؛ كالطب والرياضيات والفلك والطبيعة ..

وكانت الرحلة في طلب العلم سُنَّةً مُتَّبَعةً، يتداعى إليها الناس، ويؤثرون فراق الأهل والوطن في سبيل طلب العلم والإمامة فيه.

وأهل القرآن هم العلماء، قال تعالى: M **بل هو آيات** f g h i j k l r L [العنكبوت]، والعلماء هم قادة الفكر وموجهو الأمم ومربو الأجيال، فإن أحسنوا كان الحصاد الطيب والثمر اليانع النضيج، وإن أساءوا كانت العاقبة شوكاً وحنظلاً وفساداً للمجتمعات، فلنتق الله في هذه الأمانة العظيمة.

**ب) الإرشاد والنصح**

الإرشاد والنصح منهج يعرفه أهل القرآن حق المعرفة، لما يلمسون من آثاره الطيبة ونتائجه الكريمة، ولما في تركه من التقصير وانتشار الفساد، ولذلك كان التواصي بالحق والتواصي بالصبر - الذي يصدق عليه معنى الإرشاد والنصح- عنصراً أكيداً من عناصر النجاة والفوز،

---

(1) التيسير بشرح الجامع الصغير 399/1، الحكيم الترمذي عن ابن عباس بإسناد ضعيف. وكنز العمال 62/10، رقم الحديث 28732.

(2) جاء في ترجمة زيد بن الحسن الكندي(ت613هـ): ".. وتلقن القرآن على سبط الخياط وله **نحو سبع سنين، وهذا عجيب، وأعجب من ذلك أنه قرأ القراءات العشر وهو ابن عشر**، وهذا لا يُعرف لأحد قبله .." غاية النهاية 297/1. وقال ابن الجزري في ترجمة ابنه أبي الفتح محمد: "ولد يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة(777هـ) .. **وحفظ القرآن وله ثمان سنين**، واستظهر الشاطبية والرائية ومنظومتي الهداية، وشرع في الجمع بالعشر عليّ فرحلت به إلى الديار المصرية، فأدركت به أبا الفتح محمد بن أحمد العسقلاني آخر أصحاب الصائغ سنة(788هـ) فقرأ عليه القراءات الاثنتي عشرة بمضمن عدة كتب ..". انظر: غاية النهاية 251/2-252.

وكان ترك ذلك العنصر سبيلاً إلى الْخُسر كما بينه تعالى في قوله:M**والعصر** " # $ % **خسر** ' ) **الذين** * + , - . / 0 1 L[العصر].

ولقد جاء في الحديث أن بعض الصحابة **بايعوا على النصح لكل مسلم**".(1)

وممارسة النصيحة تبدو في أول الأمر صعبة، لكن المسلم الذي يعرف شروطها وأهميتها وأثرها سيكون من المبادرين إليها. كيف لا ونحن نعلم أن الأنبياء هم أول الناصحين لأقوامهم، كما أخبر القرآن عن نوح أنه قال لقومه:M**أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من** f g h i j [الأعراف] وعن هود أنه قال لقومه: **أبلغكم رسالات ربي** $ % **ناصح** ' ) L[الأعراف]

ولقد خلد القرآن ذكر نَملة نصحت قومها، وحذرتهم من الهلاك: M**قالت نملة** f g h i j k l m n o p q L [النمل]

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية النصيحة، وموقعها من الدين حين قال: "**الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**".(2)

وأجدر الناس قياماً بالنصيحة هم أهل القرآن والعلم، لأنهم يعرفون الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، ويزِنون ذلك بميزان الشرع، فإذا رأوا خللاً أو فساداً وجب أن يسارعوا إلى النصح والإرشاد، حتى لا يتسع الخرق وينتشر الفساد.

**جـ) التربية والتعليم**

للتربية أثرها الكبير في صياغة النفوس وفق منهج الحق، وإعدادها الإعداد الْخُلقي المحكم، وقد قدمها القرآن على التعليم؛ لأن مكانها المنطقي قبل التعليم. قال تعالى: M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 **الكتاب** ; > **كانوا** < ? @ A B C L[الجمعة]. ودعا العلماء وأهل الذكر أن يتصفوا بالربانية فقال تعالى: M Q R S T U V W X Y **تدرسون** [ L[آل عمران]. قال

---

(1) منهم جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه. انظر: صحيح البخاري 31/1، رقم الحديث 58 وصحيح مسلم 75/1، رقم الحديث 56.

(2) صحيح مسلم 74/1، رقم الحديث 55.

المفسرون: الربانيون هم العلماء الحكماء الأتقياء،(1) وقيل: الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره.(2) وإن للعلم صغاراً وكباراً لا بد من الجمع بينهما، كما أن لجناح الطائر خوافي وقوادم(3) تتعاون في دفعه إلى الطيران والتحليق.

والملاحظ أن التعليم إنما يكون الاهتمام به؛ لأنه يؤدي إلى زيادة الكمالات النفسية، فكلما تعلم المرء شيئاً وعمل به، تربى وتهذب، وارتقى في سلم الأخلاق الفاضلة.

أما العلم الذي لا ينعكس على نفس متعلمه إيجابيا، ولا يزيده تهذيبا وتزكية، فسيكون ضَرَّهُ أقربَ من نفعه، وشره أكثر من خيره، لأنه سلاح قوي، إذا لم يستخدم في الخير، دعا صاحبه إلى ظلم الناس وأكل حقوقهم بعلم ومعرفة. ولأمر ما قال الله سبحانه: M**أفرءيت** " # $ %
**وأضله** ' ) **علم** * + , - . / 0 1 2 3 4 5
6 8 9 [(23) الجاثية]، فالضلال على علم أشد وأقسى من الضلال على جهل، لأنه انحرافٌ مبنيٌّ على معرفة وخبرة.

والمجتمع بحاجة أكيدة إلى المعلم الذي يعلم الناس الخير ويربيهم على الخلق الفاضل والهدى المستقيم، وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم: "**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**"(4). ليؤكد على أمرين في غاية الأهمية هما: تعلم القرآن وتعليمه، والتربي على ما فيه من قيم وفضائل، إذ لا يقبل بحال أن يقتصر المرء على تعلم القرآن وتعليمه، دون أن يتأثر به ويتخلق بأخلاقه.

وإذا كان المسلم مطالباً بتربية أولاده على الطاعة والعبادة والإيمان منذ سنوات عمرهم الأولى(5) فلأن الإسلام يريد ربط النشءِ بمعانيه وتعاليمه مدة أعمارهم ليعيشوا على الإسلام ويموتوا عليه تحقيقاً لقوله تعالى: M **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي** © **رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ** ´ µ ¶ ¸ L [الأنعام].

---

(1) انظر: تفسير القرطبي 122/4.

(2) انظر: تفسير القرطبي 122/4.

(3) الخوافي هي الريشات الصغار، والقوادم هي الريشات الكبار.

(4) سبق تخريجه.

(5) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: " **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع**.." مسند أحمد بن حنبل ج2/ص187، رقم الحديث 6756.

والرسول صلى الله عليه وسلم يلخص مهمته بقوله: **(إنما بعثت معلماً)**،(1) ويبين أهمية التعليم بقوله: (.. **وإن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير**).(2)

ولأهمية التعليم أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل المجتمع كله بين معلم ومتعلم فقال: **(الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً)**.(3)

**د) الرعاية والتعاهد**

المقصود بالرعاية والتعاهد ما هو أشمل من التربية والتعليم، فكما نتعهد الطفل بتربيته على الكلمة الطيبة، والخلق الحسن، ونعلمه كيف يصلي ويصوم، وكيف يحب خالقه، ويبرّ والديه، ويحسن إلى الناس .. لا بد من تعاهده بما يحفظ جسمه من الطعام والشراب وصالح الغذاء والكساء

---

(1) المسند المستخرج على صحيح مسلم ج4/ص164، رقم الحديث 3492، وسنن ابن ماجه 83/1، رقم الحديث 229.

(2) ذكره ابن القيم في أثناء حديثه عن العلم وفضله وشرفه، حيث قال:".. به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تُعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، وهو إمامٌ والعمل مأموم، وهو قائدٌ والعمل تابع، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكَنَفُ الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه، مذاكرتُه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قُربة، وبذله صدقة، ومدارستُه تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.. واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم؛ فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح .. وهو حجة الله في أرضهِ، ونورُه بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته، ومُدنيهم من كرامته، ويكفي في شرفه أن فضل أهله على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن الملائكة لتضع لهم أجنحتها، وتظلهم بها، وأن العالِم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، وحتى النمل في جحرها، **وأن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير**، ولقد رحل كليم الرحمن، موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام في طلب العلم هو وفتاه حتى مسهما النصب في سفرهما في طلب العلم، حتى ظفر بثلاث مسائل، وهو من أكرم الخلق على الله، وأعلمهم به، وأَمَرَ اللهُ رسولَهُ أن يسأله المزيد منه، فقال: M 0 1 2 3 4 L.."[طه]. مدارج السالكين 470/2-471. ولم أجد الحديث المذكور في شيء من مصادر السنة.

(3) سنن ابن ماجه 1377/2، رقم الحديث 4112،

والدواء، ولا يقتصر الأمر على الطفل، بل يتناول الفقير والمسكين واليتيم والأسير، وكلَّ محتاج لقضاء حاجته، وسد خلته، ليكون المجتمع آمناً من عوادي الجريمة التي هي نتاج أكيد – في غالب الأحيان - للعوز والفاقة.

ومَن أَحَقُّ من أهل القرآن بهذه المسؤولية العظيمة؟ ومن أقدر منهم على تنظيم جهود الإغاثة والمساعدة؟ ثم كم هي الثمرات التي تترتب على قيامهم بمثل هذا المشروع النافع المفيد؟ والإنسان عبد الإحسان، وللمعروف أثره في كسب محبة الناس، والاستيلاء على قلوبهم، وجعلهم يقتدون ويتبعون.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الرجل يتألفه على الإسلام، فما هو إلا أن تخالط بشاشة الإيمان قلبَهُ حتى يكون الإسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها.(1)

ولقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً غنماً بين جبلين، فمضى الرجل يدعو قومه إلى الإسلام قائلاً: يا قوم أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر".(2)

والرعاية والتعهد منهج يشمل الصغير والكبير، وينال كلُّ فرد في المجتمع نصيبه منه، فلا حيف، ولا جور، ولا منع حق، ولا حرمان من نصيب بدافع من حقد، أو بناء على موقف سابق.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأبي مريم السلولي، وكان هو الذي قتل أخاه زيداً: والله إني لا أحبك حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ. قال: أفيمنعني ذلك حقاً؟ قال: لا. قال: فلا ضير، إنما يأسى على الحب النساء".(3)

### هـ) الإصلاح وجمع الكلمة

مهما بلغ المجتمع من كمال الإيمان، وتحقق فيه من معاني الخير والفضيلة، سيبقى مجتمعاً بشرياً، يُتوقع من أهله الخطأ والذنبُ، ومقارفةُ الإثم، وقد قرر الإسلام هذه الحقيقة، فقال صلى الله عليه وسلم: "**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**".(4) ولأن الناس يتخالطون ويتعاملون فيما

---

(1) قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها". صحيح مسلم 1806/4، رقم الحديث 2312.

(2) صحيح مسلم 1806/4، رقم الحديث 2312.

(3) أدب الدنيا والدين للماوردي 169/1.

(4) سنن ابن ماجه 1420/2، رقم الحديث 4251، والمستدرك على الصحيحين 272/4، رقم الحديث 7617. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بينهم، فلا بد أن يحدث بينهم أحياناً ما يحدث من خصام وشجار، وتنافُس وتغالُب، وهي أمور تقلُّ كلما ازداد وازعُ الإيمان، وتزداد كلما ضعف الدين في النفوس، وللوقاية من مثل ذلك كان لا بد من التربية والتعليم والتعاهد والرعاية، وإذا حصل شيء من الخصام والشجار، كان المطلوب أن يسارع أهل الخير إلى إصلاح ذات البين، ورأبِ الصدع، وجمعِ الكلمة، وأهلُ القرآن هم المرشحون لذلك، لأنهم أول من تتجه الأنظار إليهم ليبادروا إلى الإصلاح، ولأن القرآن الذي في صدورهم يأبى عليهم أن يتركوا الفساد يقوى ويستشري.

وإصلاحُ ذات البين فضلاً عن كونه مهمةً دعويةً ذات أولوية خاصة، فإنه يُشَكِّلُ في نظر الإسلام مؤشراً على صلاح الأمة والمجتمع، وارتفاع مستوى الإيمان في النفوس، بمعنى أنه يَصلُحُ مقياساً لمعرفة التزام الأمة بدينها. وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم:" **إياكم وسوءَ ذات البين، فإنها الحالقة**".(1)

وفي رواية قال: "**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاحُ ذات البين، فإن فسادَ ذاتِ البين هي الحالقة.. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**".(2)

وفي القرآن الكريم: M * + , - . 6 L [الأنفال].

إذا أصلح المسلمون ذات بينهم كان ذلك سبيلاً إلى الوحدة والتماسك، والوقوف صفاً واحداً في وجه العدو المشترك، أما إذا فسد ذاتُ البين، فقد سُمح للأعداء بالدخول بين الإخوة، ليعيثوا بينهم فساداً وتدميراً وخبالاً. فهل نعي أهمية هذه القضية؟

### و) إحياء روح الأمل والبشارة

ما أعظم البشائر وأجملها في كل وقت، فالمرء يتفاءل بالخير، ويطمح إليه، ويستعجل مرور الأيام رغبةً في إدراك الأفضل، والوصول إلى الأحسن. وأجملُ البشائر ما يأتي عند اشتداد الضيق، وتلاحق الهموم، وبدء دبيب اليأس في القلوب، عندئذ تكون البشارةُ بشارتينِ لأنها تمحو آثارَ اليأس ونتائجَهُ، وتَعِدُ بمستقبل مشرقٍ، يسعى إليه الناس بشوق ورغبة.

---

(1) قال الترمذي: "هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ومعنى قوله وسوء ذات البين إنما يعني العداوة والبغضاء وقوله الحالقة يقول إنها تحلق الدين". سنن الترمذي 663/4، رقم الحديث2508.

(2) سنن الترمذي 663/4، رقم الحديث2509.

والعجيب أن عامة البشائر التي وردت في القرآن والسنة إنما كانت في ساعات الشدائد، وقسوةِ الظروف، كما في وقت التعذيب والاضطهاد، وأيام حفر الخندق وغزوة الأحزاب، وأيام غزوة تبوك وجيش العُسرة...

وقد كان الصحابة يجدون لهذه البشائرِ في قلوبهم نشوةَ النصرِ، ومتعة الفَوْزِ والظفر، ويعيشون على أمل أن يدركوا تحقُّقَهَا وحدوثَها، فمنهم من قضى نحبه مصدقاً بما سمع، ومنهم من عاش حتى رأى بعينه تحقيق ما وُعد. M } | { ~ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ L [الروم].

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب البشائر، ويبشر المسلمين بها، فنحن- معشر أهل القرآن- نقتدي به، ونحب البشائر، ونُصدِّق ما وُعدنا به، ولا نكتفي بذلك، بل علينا أن نبشر المسلمين، ونطمئنَهُم إلى صدق وعد الله ورسوله. وهنا لا بد من بيان أمرٍ، هو: أن بعض المسلمين إذا سمع البشائر ركن إليها وقال: ها نحن ننتظر. وقعد بلا عمل ظناً منه أن وعد الله يتحقق بلا جهد بشري، وهذا وَهْمٌ وغُرور واستخفاف بأمر الله تعالى. فلو كانت الوعود تتحقق بلا عمل لتحققت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي خاطبه ربه بقولهM **إن** " # $ % **لرادك** ' ) 5 L [القصص]. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقعد في بيته منتظراً تحقُّقَ الوعد، بل سعى بدأب ونشاط ليحقق وعد الله.(1)

إنَّ أهل القرآن هم أهل البشائر فليبشروا الناس بها، وليسعوا إلى تحقيقها، وليدعوا الناس إلى ذلك، فإن وعد الله حق ولا بد أن يأتي تأويله عما قريب.

### ز) طمس معالم اليأس والقنوط

إنَّ هذه النقطة تتعلق بسابقتها تعلقاً شديداً، لأن اليأس والقنوط يشكلان الجانب المقابل للأمل والبشارة، وإنما يأتي اليأس ويتسلل إلى النفس عندما يضعف الإيمان ويقل الرجاء ويذوب الأمل. وفي الحديث: "**من قال: هلك الناس فهو أهلكُهم، أو أهلكَهم**"(2). فاليأس إطفاء لجذوة الأمل، وقتل لروح العمل، ودعوة خرقاء إلى القعود والاستسلام.

---

(1) على أن المعاد يعني العودة إلى مكة، وهو أحد المعاني التي ذكرها المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة. انظر: تفسير البغوي 458/3-459، وتفسير ابن كثير 403/3-404، وتفسير أبي السعود 28/7.

(2) مسند الطيالسي 319/1، رقم الحديث 2438، ومسند ابن الجعد 483/1، رقم الحديث3355.

ما أعظم صيحة الصحابي الجليل أنس بن النضر – رضي الله عنه - حين مرَّ – في أُحُد - على بعض الصحابة وقد ألقوا أسلحتهم وقعدوا، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فصاح بهم: فماذا تصنعون بالعيش بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه".(1)

إنها صيحة تطرد اليأس، وتحث على العمل، ولا شك كان لها أثرها الكبير في إحياء روح الجهاد في نفوس الصحابة الكرام، في موقف من أشد المواقف قَسوةً وشِدَّةً.

والرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في غزوة أحد، وقد أصابه من الجراح ما أصابه، ينزل عليه قول الله سبحانه: M } | { ~ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ L[آل عمران]

سبحان الله: أنتم الأعلون رغم القرح والجراح؟ ورغم قافلة الشهداء التي فرشت رمال أُحُد، وفي مقدمتها حمزةُ أسدُ اللهِ وأسد رسولهِ؟ ورغم ما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم من جراح، وما نزف من وجهه الشريف من دماء؟

نعم! رغم كل ذلك (وأنتم الأعلون) والنصر لكم، بشرط أن لا تستسلموا لليأس، ولا تذعنوا للقنوط، ولا تقبلوا بالهوان.

ولو لم يكن من أُحُدٍ وآلامِها وجراحِها إلا هذا الدرسُ لكان كافياً.

والناس في زماننا قد استولى على كثير منهم اليأس، وغلب عليهم القنوط، فصاروا يرون أن الحال لن يتغير، وأن المسلمين سيبقون إلى الأبد تحت نير الظلم والاستكبار العالمي، وليس ثمةَ بصيصُ أملٍ في تغيُّرِ القوى، وتبدُّلِ الأحوال، ولعل هذه النظرة اليائسة المتشائمة هي التي مهدت للقول بنهاية التاريخ،(2) وجرَّأتْ أعداءَ الأُمَّةِ أن يُعَمِّمُوا تلك النظريةَ الهالكةَ، التي لن تقوى على الصمود أمام بشائر الحق القادمة من رحم الغيب القريب.

---

(1) انظر: تفسير الكشاف 450/1.

(2) نظرية نهاية التاريخ أطلقها الفيلسوف الأمريكي من أصل ياباني (فرانسيس فوكوياما) عام 1989م، وخلاصتها أن التاريخ البشري يتجه نحو حتمية واحدة: إقامة أنظمة ديموقراطية ليبرالية في كل المجتمعات والأمم. وأعطى دليلاً على ذلك سقوط معظم الأنظمة الملكية والشيوعية والفاشية والديكتاتورية العسكرية خلال القرن المنصرم، وقيام أنظمة ديموقراطية مكانها. وبصورة أخرى فالنظرية تعني: أن العولمة وتعميم الفكر الغربي الرأسمالي سيستمر إلى نهاية العالم، ولن يكون هناك تداول بين هذا الفكر الغربي والحضارة الغربية وبين حضارات أخرى. وهي نظرية متهالكة، وسيتحقق عما قريب فسادها وبطلانها.

إن من واجب أهل القرآن أن يعيدوا للقلوب الأملَ، ويبعثوا البشائر في النفوس، فاليأس جفافٌ وموتٌ، والأمل اخضرارٌ وحياةٌ ونماء.

الأمل الصادق ينتظره المؤمن كما ينتظر الزَّوجُ أن تضع زوجته حملها الذي لا يشك فيه، وكما ينتظر المهمومُ طلوعَ الفجر بعد سوادِ الليل وظلامِه، وكيف نشك وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم **أن القسطنطينيةَ ستُفتَحُ، وأن رُوميةَ ستُفتَحُ؟**(1) **وأن المسلمين سيَقتُلون اليهود،**(2) **وأنه لن يبقى بيت إلا أدخله الله الإسلام ..؟** (3)

إنها سلسلةٌ من البشائر الصادقة، تحقق كثير منها، وسيتحقق باقيها، يقينٌ نجزم به، ونحلف عليه لا نستثني، لأنه وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

**رابعاً- الثمرات المرجوة**

حين يلتزم الجيل المسلم بصفات أهل القرآن وأخلاقهم، تلك الصفات والأخلاق التي هي حصيلة التربية على منهج القرآن والإيمان، ويعرف أهل القرآن دورهم في مجتمعاتهم، وأهمية سعيهم لإنقاذ الناس وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان. ويدركون معالم دورهم الريادي متمثلة في: القيادة والتوجيه، والنصح والإرشاد، والتربية والتعليم، والتعاهد والرعاية، وإصلاح ذات البين، والحرص على إحياء روح الأمل في النفوس، وطمس روح اليأس والقنوط، ستتحقق

---

(1) سنن الدارمي 137/1، رقم الحديث 486، والمستدرك 468/4، رقم الحديث 8301، والأوائل للطبراني 89/1، رقم الحديث 61.

(2) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله". صحيح البخاري 1070/3، رقم الحديث 2767، و2768.

(3) عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغن هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلا أدخله الله هذا الدينَ، بعز عزيز، أو بذُل ذليل؛ عزّاً يُعز اللهُ به الإسلامَ، وذلاً يذل الله به الكفرَ. وكان تميمٌ الداري يقول: قد عرفتُ ذلك في أهل بيتي؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخيرُ والشرفُ والعزُ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذلُّ والصَّغارُ والجزيةُ". مسند أحمد بن حنبل 103/4، رقم الحديث 16998، ومثله أيضاً في صحيح ابن حبان 92/15، والمستدرك 476/4، رقم الحديث 8324.

النتائج والثمرات المرجوة، وأهمها: ربط الناس بالإيمان، والوصول إلى التغيير الإيجابي الشامل، وإخراج الجيل القرآني.

### أ) ربط الناس بالإيمان

إن ربط الناس بالإيمان غاية يسعى المسلم إلى تحقيقها امتثالاً لأمر الله تعالى، فكل من شرح بالإسلام صدراً، واهتدى على يديه أحدٌ، كان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجر ذلك المهتدي شيء، كما قال صلى الله عليه وسلم لعليٍّ - رضي الله عنه - يوم خيبر: "**لأن يُهدى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حمر النعم**".(1)

ولا يقتصر هذا الأجر على من أدخل كافراً في الإسلام، وشرح صدره للإيمان، بل نرجو أن يعُمَّ كُلَّ من ثبّت الإيمانَ في قلب مسلم، وحماهُ - بالوعظ والبيان- من الشكِّ والتردد، لأن هذا كذاك، هذا ثبت مسلماً على إسلامه، وذاك هدى كافراً للإسلام.

وكلما ازدادت الدلائل، وقويت البراهين، وعُرِضت محاسن الإسلام على الناس بصورة مشرقة صادقة، أدى ذلك إلى زيادة إيمان المؤمنين، ونفي الشك عن المترددين، وإقناع غير المسلمين بالدخول في الإسلام.

ويتصل بهذه القضية ما نلاحظه في الحضارات المادية من محاولة تفسير كل ظاهرة، وكل حدثٍ، تفسيراً مادياً محضاً، وربط النتائج بالأسباب دون التفات إلى الفاعل الحقيقي، فالزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير .. تُفَسَّرُ دائماً على أنها ظواهر طبيعية، تحدث في مناطق معينة معروفة، وكأن لا وجود للخالق المدبر، الفعال لما يريد، ويقال مثل ذلك في انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة وانحباس المطر والجفاف .. وهذه التفسيرات تدل على انحراف وضلال في طريقة فهم الأمور، ومع ذلك تجد من المشاهير والمرموقين مدافعين عنها ومؤيدين لها.

في حضارة الإسلام تُسنَدُ كلُّ قضيةٍ إلى الفاعل المختار، الفعال لما يريد، الذي خلق كل شيء فقدَّرَهُ تقديراً، دون إغفال الاقتران بين الأسباب والنتائج، ودون إغفال البحث عن الأسباب الكامنة وراء ما يحدث. فالإسلام لا يفصل النتائج عن أسبابها، ولكنه لا يرضى بأن يكون شيءٌ من الأشياء مؤثراً بنفسه، فالنفع والضر والخير والشر .. كلها بيد الله سبحانه، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.

---

(1) صحيح البخاري 1077/3، رقم الحديث 2783.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأى ريحاً، جثا على ركبتيه ضارعاً لله سبحانه، أو أكثرَ الدخولَ والخروجَ في خوفٍ ظاهرٍ، فيقول له بعض من حوله: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الريح استبشروا! فيقول: **وما يُؤمنني؟ قد عُذب قومٌ بالريح**".(1)

إنها النفس المؤمنة بالله، التي تفسر كُلَّ ظاهرة تفسيراً يتفق مع حقائق الإيمان، وتعطينا النموذج الأمثل لما يجب أن يكون عليه أهل القرآن من ربط الناس بالإيمان، وتوجيههم إلى خالقهم، ومدبر أمورهم سبحانه. وإن ارتباط الناس بالإيمان، وتعلُّقهم بالخالق، ثقةً به وتوكلاً عليه، لثمرة عظيمة يجب أن نسعى إلى تحقيقها وزيادتها.

**ب) الوصول إلى التغيير الإيجابي الشامل**

إنَّ التغيير الجوهري لا المظهري، والحقيقي لا الشكلي، هو التغيير الذي يعيد صياغةَ النفوسِ، وإنتاجها من جديد، كأنما يُنشئها خلقاً آخر.

إنه التغيير الذي يبدأ بالمقاييس والمعايير، فبدلاً من أن تكون قيمة المرء ما يملكه من مال ومتاع، تُصبح قيمته بما يملكه من القيم الفاضلة والأخلاق العظيمة، وبدلاً من التفرقة بين الناس على أساس اللون والدم والعرق، يكون التفاضل بين الناس في الاستقامة والتقوى، وبدلاً من أن يقام الوزنُ، وتعطى الأهميةُ للجبارين والمتكبرين والظلمة، يأتي القانونُ العادل الذي يسوي بين الغني والفقير، وبين الحداد والأمير، ويجعلُ الجميعَ أمام القانون سواءً.

إنَّه التغيير الذي يجعل الناس يتنافسون في العمل الصالح، والطاعات والعبادات، وأعمال البر والإحسان، بدلاً من التنافس في جمع المال، والاستكثار من الحطام.

كان الناس في زمن خلفاء بني أمية يلقى الرجلُ الرجلَ، فيسألُهُ: كم عبداً عندك؟ وكم بيتاً تملك؟ وهل عمرت شيئًا؟ .. هل تزوجت؟ هل أولمت؟..؟ فلما استُخْلِفَ عمرُ بن عبد العزيز جعل الرجلُ يلقى الرجلَ فيسأله: هل صمت اليوم؟ .. بكم تصدقت؟ .. هل صليت الليلةَ شيئًا؟ فقاد عمر

---

(1) عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: ".. وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه فقلت: يا رسول الله أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية؟ قالت فقال: يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح. وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا". صحيح مسلم ج2/ص616، رقم الحديث 899.

الناس لانقلابٍ في حياتهم من الدنيا إلى الآخرة، ونشرَ العدلَ، ونصر الحق والسنةَ، وقمع الباطلَ والبدعةَ، وعم الخيرُ على الناس حتى استغنى الجميعُ (1)

إنها التربية الإيمانية التي تجعل الناس يزهدون في الدنيا، على الرغم من أنها في أيديهم، ويجودون بها بسخاء نفسٍ، توكلاً على الرزاق ذي القوة المتين.

إنَّهُ التغيير الذي يجعل الطفل يحفظ أسماء كبار الصحابة، وقادة الفتوح، ومشاهير العظماء، بدلاً من حفظ أسماء المطربين والراقصات .. ويحفظُ سورةَ الأنفال، وسورة الأحزاب، بدلاً من الترنم بألحان أهل الفسق والفجور.

إنَّهُ التغيير الإيجابي الذي يطال جميع مرافق المجتمع، ومنابر التوجيه، ومعاهد التربية والإعداد، ويفتح المجال أمام الطاقات الشابة، لتعمل بكفاءة وفاعلية، دون تثبيط أو تعويق.

ثم إنَّهُ التغيير الذي يعيش الحاضر، متطلعاً إلى مستقبل مشرق واعد، ويتهيأ للانتقال إلى الأعلى بثقة وعزيمة ويقين.

**جـ) إخراج الجيل القرآني**

إن إخراج الجيل القرآني لا يتم بالأحلام، ولا بمعسول الكلام، ولكنه يتم بسلوك طريقه الوعر الشاقّ، في مجاهدة ومكابدة ومصابرة لا تنال منها الصعابُ، ولا توهنها الخطوبُ:

دَبيتُ للمجدِ والساعونَ قد بلغوا جَهْدَ النفوسِ وأَلْقَوْا دونه الأُزُرا

وكابدوا المجدَ حتى مَلَّ أكثرُهُم وعانقَ المجدَ مَنْ أوفى ومَنْ صَبَرَا

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُهُ لن تبلغ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرَا (2)

وإن هذا الإخراج إنما يتم بعملية بناء متكاملة، تبدأ بالأهم، ثم تتناول ما دونه، مُرَتّبةً الأولويات بحسب أهميتها وأثرها.

وعملية البناء هذه تحتاج إلى تخطيط محكم متقن، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا عرف لها مكانها، ووضعها موضعها من المخطط، حتى إذا تمت عمليةُ البناء على الورق، وتم التصورُ

---

(1) انظر: دراسة تاريخية في أزمة القيادة - اغتيال الحلم، مقال منشور في الصفحة الرئيسية لموقع مفكرة الإسلام، بتاريخ 2007/10/16م

(2) هذه الأبيات نسبها أبو علي القالي لبعض العرب، فقال: قرأت على أبى بكر بن دريد لبعض العرب. انظر الأمالي 52/1. وهي في شرح ديوان الحماسة 462/1 لرجل من بني أسد.

الكلِّيُّ للمشروع، بدأ إعداد اللبنات والمواد الخام، ثم تركيبها في مواضعها شيئاً فشيئاً، وخطوة بعد خطوة، حتى يتم البناء في إحكام وإتقان.

وبعد التخطيط لا بد من التنفيذ بدقة وإحكام، حتى إذا تمت مرحلة من مراحل العمل احتاج الأمر إلى مراجعة وتقويم، لتصحيح الخطأ، وتصويب المسار. قبل الانتقال إلى المرحلة التالية.

وكما لا يدخر المرء جهداً ولا مالاً من أجل بناء بيت يسكنه، فإن الواجب يقتضي أن نقدم كل جهد ممكن، وكل مال متاح لنصل إلى الهدف المنشود والغاية المرجوة.

أهل القرآن هم أهل هذا المشروع، مشروعِ إعادة الحياة، وضخ الدماء في شرايين الأمة، والنهوض بها من جديد، وإخراج الجيل القرآني الذي يحمل على عاتقه مهمة صناعة الحياة، وكتابة التاريخ بمداد العزائم، على قراطيس الهمم.

والمشروع برُمَّتِهِ يهدف إلى إخراج الجيل الذي يتصف بالإيمان العميق، والفهم الدقيق، والخلق الرفيع، والهمة العالية، والنشاط المتجدد، والتفكير المبدع.

وإن الإعداد لإخراج هذا الجيل يتطلب قوالب تتناسب مع هذه المواصفات، وبمقدور أهل القرآن أن يقوموا بهذا الدور العظيم، إذا تحلوا بالصبر والجلد، وواصلوا الليل بالنهار.

M **ولينصرن الله من ينصره** O P Q R S L [الحجّ].

## الخاتمة

في ختام هذا البحث يجدر أن ألخص أبرز القضايا التي وردت فيه، فمن ذلك:

هذا البحث يحمل عنواناً مهماً، ويتحدث عن قضية هامة هي الدور الريادي لحملة القرآن في نهضة الأمة.

وقد تحدث عن أبرز خصائص القرآن المتصلة بإخراج الجيل القرآني، باعتبار القرآن هو المنهج الذي يتربى عليه الجيل الذي نسعى إلى إخراجه، وهذه الخصائص تتمثل في هداية القرآن وإعجازه وقدرته على صياغة النفوس صياغة جديدة.

ثم تحدث عن أبرز صفات أهل القرآن وأخلاقهم، تلك الصفات والأخلاق التي هي حصيلة التربية على منهج القرآن والإيمان، والثمرة الطبيعية المرتقبة ممن تلقوا هذا المنهج تلقياً سليماً. وأهم هذه الصفات: الإيمان العميق، والفهم الدقيق، والعمل الصالح، والهمة والنشاط، والحركة الدائبة، والروح الجماعية، والخلق الحسن.

ثم انتقل إلى بيان أهمية أن يعرف أهل القرآن دورهم في مجتمعاتهم، وأهمية سعيهم لإنقاذ الناس وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان.

كما وضع مصطلحاً يبين المقصود بأهل القرآن، حتى تكون الأمور أكثر تحديداً.

ثم بين معالم الدور الريادي لحملة القرآن في المجتمع، متمثلة في: القيادة والتوجيه، والنصح والإرشاد، والتربية والتعليم، والتعاهد والرعاية، وإصلاح ذات البين، والحرص على إحياء روح الأمل في النفوس، وطمس روح اليأس والقنوط.

ثم تحدث عن النتائج المرجوة – إذا قام أهل القرآن بدورهم- وأهمها: ربط الناس بالإيمان، والوصول إلى التغيير الإيجابي الشامل، وإخراج الجيل القرآني.

وإن هذا البحث قد يشكل مقاربة منهجية، وبرنامجاً عملياً، بعد مدارسة أهل الاختصاص من الدعاة والعلماء أهل القرآن، والأخذ بتعديلاتهم وإضافاتهم وتصويباتهم، لننتقل إلى مرحلة العمل، ولا نبقى في دائرة التنظير والكلام.

واستناداً إلى ما تقدم يوصي الباحث بما يلي:

1- توعية النشء بهذا القرآن العظيم، ومهمته في الحياة.
2- الإعداد والتخطيط لتربية الأمة على صفات أهل القرآن وأخلاقهم.
3- توعية أهل القرآن بدورهم الريادي في نهضة الأمة وتقدمها.
4- تعريف أهل القرآن بالنتائج الإيجابية المترتبة على قيامهم بدورهم، وأداء مهمتهم.

والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

## المصادر والمراجع

1. **الآحاد والمثاني**، الشيباني (أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك)، دار الراية - الرياض- 1411-1991، الطبعة الأولى، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة.
2. **أدب الدنيا والدين**، للماوردي، ضمن موسوعة المكتبة الشاملة.
3. **الأوائل**، الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد)، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان-بيروت-1403، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير.
4. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، العمادي (أبو السعود محمد بن محمد)، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
5. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد)، دار الجيل- بيروت- 1412، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
6. **الإصابة في تمييز الصحابة**، العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر)، دار الجيل- بيروت- 1412- 1992، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

7. **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي)، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1395هـ= 1975م، تحقيق: محمد حامد الفقي.
8. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي)، دار الفكر- بيروت- 1995، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
9. **تذكرة الحفاظ**، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، دار إحياء التراث العربي، بعناية: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.
10. **تفسير القرآن العظيم**، الدمشقي (أبو الفداء إسماعيل بن كثير)، دار الفكر- بيروت– 1401.
11. **التفسير والمفسرون**، الذهبي (د. محمد حسين)، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ط2 سنة 1396هـ=1976م.
12. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب- 1387، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.
13. **التيسير بشرح الجامع الصغير**، المناوي (زين الدين عبد الرؤوف)، مكتبة الإمام الشافعي-الرياض - 1408هـ - 1988م، الطبعة الثالثة.
14. **الثقات**، البستي (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد)، دار الفكر- 1395- 1975، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
15. **الجامع**، الأزدي (معمر بن راشد)، المكتب الإسلامي- بيروت- 1403، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الأعظمي (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني).
16. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)، دار الشعب– القاهرة.
17. **جمع القرآن في مراحله التاريخية**، أبو زيد (محمد شرعي)، رسالة ماجستير، جامعة الكويت.
18. **الجهاد لابن المبارك**، المروزي (عبد الله بن المبارك)، الدار التونسية– تونس.
19. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله)، دار الكتاب العربي- بيروت- 1405، الطبعة الرابعة.

20. **الحماسة المغربية**، للجرّاوي، موقع الوراق، http://www.alwarraq.com

21. **سنن أبي داود**، السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي)، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

22. **سنن البيهقي الكبرى**، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - 1414- 1994، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

23. **سنن الترمذي**، الجامع الصحيح، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

24. **سنن الدارمي**، الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، دار الكتاب العربي- بيروت- 1407، الطبعة الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

25. **سنن سعيد بن منصور**، المروزي (أبو عثمان سعيد بن منصور)، دار العصيمي- الرياض- 1414، الطبعة الأولى، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، **وسنن سعيد بن منصور**، الدار السلفية- الهند- 1403هـ -1982م، الطبعة الأولى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

26. **سنن ابن ماجه**، القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد)، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

27. **السنن الكبرى**، النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب)، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411-1991، الطبعة الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

28. **السيرة النبوية**، المعافري (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ، دار الجيل-بيروت - 1411، الطبعة الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

29. **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، الزرقاني (محمد بن عبد الباقي بن يوسف)، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411، الطبعة: الأولى.

30. **صحيح البخاري الجامع الصحيح المختصر**، البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - 1407 - 1987، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا

31. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، البستي (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد)، مؤسسة الرسالة- بيروت – 1414هـ = 1993، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

32. **صحيح مسلم**، النيسابوري (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

33. **الطبقات الكبرى**، ابن سعد(محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري)، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى سنة 1968م، تحقيق: إحسان عباس.

34. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، العيني (بدر الدين محمود بن أحمد)، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

35. **غاية النهاية في طبقات القراء**، ابن الجزري (أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد)، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ=1982م.

36. **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، عبد الرؤوف المناوي، دار العاصمة - الرياض، تحقيق: أحمد مجتبى.

37. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي (زين الدين عبد الرؤوف)، المكتبة التجارية الكبرى- مصر- 1356هـ، الطبعة الأولى.

38. **قيمة الزمن عند العلماء**، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة العاشرة.

39. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

40. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، الهندي (علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين)، مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة 1409 هـ - 1989 م، ضبط وتصحيح: الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السفا.

41. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيّم (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي)، دار الكتاب العربي - بيروت - 1393 - 1973، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

42. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، القاري (علي بن سلطان محمد)، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 1422هـ - 2001م، الطبعة الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

43. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري)، دار الكتب العلمية- بيروت - 1411هـ - 1990م، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

44. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني)، مؤسسة قرطبة – مصر.

45. **مسند الشهاب**، القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر)، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1407 - 1986، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

46. **مسند ابن الجعد**، ابن الجعد (أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري)، مؤسسة نادر- بيروت، 1410 - 1990، الطبعة الأولى، تحقيق: عامر أحمد حيدر.

47. **مسند أبي داود الطيالسي**، الطيالسي (أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري)، دار المعرفة – بيروت.

48. **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**، الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، 1417هـ - 1996م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.

49. **مسند أبي يعلى**، الموصلي (أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي)، دار المأمون للتراث - دمشق- 1404 - 1984، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

50. **مشكاة المصابيح**، التبريزي (محمد بن عبد الله الخطيب)، المكتب الإسلامي - بيروت - 1985، الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

51. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي)، مكتبة الرشد - الرياض - 1409، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

52. **معالم التنزيل**، البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء)، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

53. **المعجم الأوسط**، الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب)، دار الحرمين - القاهرة - 1415، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

54. **المعجم الكبير**، الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب)، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - 1404 - 1983، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي
55. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1404، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.
56. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، العراقي (أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين)، دار النشر: مكتبة طبرية - الرياض - 1415هـ - 1995م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود.
57. **المنتقى من السنن المسندة**، ابن الجارود (أبو محمد عبد الله بن علي النيسابوري)، دار النشر: مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت - 1408 - 1988، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.
58. **موسوعة الأسرة المسلمة الشاملة**، جمع وتنسيق: علي بن نايف الشحود، ضمن المكتبة الشاملة.
59. **موسوعة الخطب والدروس**، جمع وتنسيق علي بن نايف الشحود، وهي نحو ألف وخمسمئة خطبة ودرس، ضمن المكتبة الشاملة، تم إعدادها بتاريخ شعبان 1427 هـ=2006/8 م.
60. **الوافي بالوفيات**، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، موقع الورّاق.